المحاضرة -7-

الرواية و الاطار السياسي

الجزء الاول

الرواية الجزائرية و الواقع السياسي

رصدت الرواية الجزائرية كل التغييرات التي حدثت في المجتمع ،في بدايتها اصطبغت بصبغة ثورية ، فصورت الثورة ضد الاستعمار، ثم أرخت لمسيرة النظام الاشتراكي - السبعينات - وحاولت في الثمانينات تسجيل مواقف الجيل الجديد في التعامل مع قضايا المجتمع الجديدة فأحدثوا تطويرا لأدواتهم الروائية للتعبير عن طموحات الجزائري في البناء الحداثي للمجتمع ، لتنتقل في تسعينات القرن الماضي الى ما نطلق عليه أدب المحنة أو أدب الأزمة الذي صاحب متغيرات سياسية واقتصادية و اجتماعية انطل ق الكاتب منها ليعبر عن راهن المرحلة الشائك .

الاطار السياسي و رواية السبعينات :

تعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الفعلية لظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية الناضجة فنيا يبدو هذا من خلال أعمال (عبد الحميد بن هدوقة) رواية - ريح الجنوب - ورواية (محمد العالي عرعار) - ما لا تذروه الرياح - وروايتي - اللاز - و- الزلزال - ل (الطاهر وطار) .

هذه الأعمال تشي ببروز تجربة روائية رائدة و متميزة فنيا فقد لجأ الكتاب الى جنس الرواية للتعبير عن واقعهم بكل تفاصيله و تعقيداته ونجد أن هؤلاء الرواد يعودون الى فترة الثورة المسلحة كما نجدهم يعانقون الواقع و يخوضون في الحديث عن متغيرات الحياة الجديدة التي تمثلت في التغييرات السياسية والاقتصادية و الثقافية . هذا الواقع الجديد كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري حيث أصبح الروائي يتمتع بالحرية التي تتيح له تبني المواقف الشجاعة التي لم يكن يستطيع تبنيها سابقا .

ورغم الطابع السياسي الذي صبغ هذه النصوص الا أنها عالجت الراهن وحاكمت التاريخ بلغة فتية جمالية جديدة متميزة .

وجاءت هذه السمة لأن هؤلاء الرواد كانوا من جيل الثورة والاستقلال لذالك امتلكوا تجربة و رصيدا ، رصيد الثورة و نضج سياسي وتجربة نضالية ،جعلهم كل هذا يجمعون بين السياسة ـ بن هد وقة مثلا كان مناضلا في حزب انصار الديموقراطية حركة طلاب تونس و نخرط في جبهة التحرير الوطني .وكان الطاهر وطار عضو في جبهة التحرير منذ تأسيسها و بعد الاستقلال كان يعمل كمراقب سياسي للحزب ـ.

هذا الرصيد النضالي اعطى للرواية الجزائرية ابعادا سياسية على يد هؤلاء الرواد حيث واجهوا الحياة و مشاكلها وعبروا عن قضايا المجتمع وطموحاته و نشروا الوعي السياسي ودعموا آمال الطبقات الكادحة في ظل الرؤية الاشتراكية ن رواية'ريح الجنوب ' مثلا ساندت الخطاب السياسي الذي كان يتبنى فكرة فك العزلة عن الريف والتقدم الى حياة اكثر ازدهارا ورفع البؤس عن الفلاح ومناهضة استغلال الانسان لأخيه الانسان الذي نادت بها الثورة الزراعية

ـ حكاية ' ريح الجنوب ' تعالج قضية شائكة من خلال حكاية بسيطة هي حكاية اب اقطاعي حاول تزويج ابنته'نفيسة ' لرئيس البلدية بغرض المحافظة على املاكه من التخلص من قانون المشروع الجديد ـ الثورة الزراعية. الا أن ابنته رفضت ،هنا ربط 'بن هدوقة' بين ضرورة حرية المرأة والتخلص من الاقطاعية في شكل معادلة لا ينجح المشروع الجديد الا بتحقق طرفيها .

الرواية تعبر بفضائها وشخصياتها عن وضع الريف المتخبط في المشاكل والمتطلع في بداية السبعينات الى التغير الجذري المتوقع من تطبيق قانون الثورة الزراعية .

نفس القضية قضية الاقطاع الذي يقف في وجه مشروع الثورة الزراعية عاد ' بن هدوقة ' الى طرحه في رواية ' نهاية الأمس ' في صورة صراع بين 'البشير' النموذج الاصلاحي و 'ابن الصخري 'الاقطاعي .

الرائد الآخر 'الطاهر وطار ' أرخت أعماله لكل ما حدث من تغييرات وتطورات حدثت في الجزائر منذ الثورة المسلحة الى ما بعد الاستقلال وجاء ت متميزة فنيا رغم ايديولوجيتها ـ الواقعية الاشتراكية ـ.

ـ في رواية ' اللاز ' عاد الى سنوات الثورة حيث انتقد بعض الأفكار والمواقف التي رآها غير سوية حيث تحولت شخصية ' اللاز' من شخصية عادية الى شخصية ترمز الى الشعب

الجزائري بأكمله حين ربط بين 'اللاز' الفتى اللقيط وبين الشعب الجزائري الأصيل وهو ربط لا يتماشى مع الواقع ولا يعقل من الناحية التاريخية ولكن الموقف يمكن أن يقبل من الناحية الفنية وهو يبرر هذت بقوله : لست مؤرخا ولكن قصاصا ووقفت في زاوية معينة لألقي نظرة على حقبة من حقب ثورتنا . اذ صورت الرواية المرحلة من خلال رؤية ايديولوجية محددة وهي الأرضية الفكرية للكاتب .

رواية ' الزلزال' التي حققت هذه الايديولوجية في الواقع الاجتماعي والاقتصادي حين قدم لنا الكاتب حكاية الاقطاعي الذي يحاول حماية أملاكه من قانون الثورة الزراعية ،كما صورت الرواية تغير حياة الأفراد بعد الاستقلال من خلال المقارنة التي تقيمها الشخصية المحورية بين ماضي الفرد وحاضره يقدم هذه المقارنة بتقنيات روائية غاية في الفنية والجمالية كل عطا يدور ضمن فضاء روائي المكان قسنطينة و جسورها وزمان يتراوح بين الماضي والحاضر .

هذه بعض العينات من مضامين الروايات التي ظهرت في تلك الفترة عندما كانت الدولة تسير في فلك الايديولوجية الاشتراكية لبناء الدولة الجزائرية بعد الاستقلال ، حيث ساهمت الرواية ـ مع المؤسسات الأخرى ـ كجسر أدبي أداتها اللغة في بناء مشروع الدولة.

الاطار السياسي و رواية مرحلة الثمانينات :

ـ ان بعض التجارب الروائية في هذه الفترة تشي بمنظورات أصحابها لمسالك التجديد ومواقفهم المتعددة في التعامل مع قضايا واشكالات الواقع الجزائري في الثمانينات نتيجة التحولات التي حدثت في الجزائر حيث مثل الجيل الجديد اتجاها تجديديا حديثا في النمط الروائي الجزائري.

ـ ونجد الروائي (الأعرج واسيني) أخرج نمطا روائيا جديدا في روايته ' ما تبقى من سيرة لخضر حمروش ' 1983

حين يهدر فيها دم الشيوعي 'لخضر' وهو شخصية يسارية سياسية وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري .

كما كتب (الحبيب السايح) رواية ' زمن التمرد' 1985 وكتب (جلالي خلاص) رواية' رائحة الكلب ' 1985 و'حمائم الشفق '1988 وكتب (مرزاق بقطاش) رواية'البراق' 1982 و رواية 'عزوز الكابران '1989 الرواية التي نجد فيها ارهاصات لما سيحدث في الجزائر حيث نرى شيخ الجامع وهو من شخصيات الرواية ـ يمثل هنا رمز التيار السلفي ـ المتضامن مع النزعة الوطنية ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة للجوانب الايديولوجية المختلفة ،

حيث يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر، يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم ويخبره بأنه غير راض عنه لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما يجب أن يتعلموه ويعلمهم الحقيقة و التمرد على حاكم مثل 'عزوز الكابران'.

لقاء المعلم والشيخ وضرورة التمرد على الحاكم في حديثهما يشير الى التضامن الوطني القومي مع السلفي من أجل خدمة القضية الوطنية ويلاحظ هيمنة شخصية شيخ الجامع كدليل على وضوح الايديولوجية الغالبة كما يلاحظ في هذه الرواية الاشارة الى أن شرعية السلطة تقوم على العنف باعتباره الوسيلة الأساسية لتحقيق المطلب السياسي .

أصدر (الطاهر وطار) رواية 'العشق و الموت في الزمن الحراشي '1980 التي رسم فيها مآل الثورة بعد الاستقلال .نلاحظ الاختلاف بين الرؤى اذ رأى بعضهم أن التأصيل هو السبيل الأمثل لبناء الحداثة و التجديد تجربة (الأعرج واسيني) مثلا. وهناك من رأى التجديد عن طريق اكساب تجاربهم سمات الجدة وتجاوز ما هو سائد مثل تجربة (رشيد بو جدرة) و (جيلالي خلاص) .

ما يلفت الانتباه في هذه الفترة هو السعي الجاد للاستفادة من تقنيات الرواية الجديدة ـ العربية و العالمية ـ مثلما فعل (بن هدوقة) في رواية ' الجازية والدراويش' 1983 حين استثمر سيرة بني هلال ليتناول من خلالها اشكاليات الثورة زمن الاستقلال وتصوير الصراعات والتناقضات وتشخيص اختياراتها وانحراف ممارساتها عن الأسس والمباديء الأصلية التي تبنتها زمن حرب التحرير وهي النقدية التاريخية التي بلور معالمها (الطاهر وطار) في رواية ' الحوات و القصر ' سنة 1980 و'تجربة العشق سنة 1988 حيث كشف فيهما عن سمة السلطة القمعية والوصولية والانتهازية التي تحكم جزائر الاستقلال دون تهيب من المحظور السياسي .

ـ ظهرت مجموعة من الأعمال التي تحاول الخروج عن المألوف السردي ولكن منها عدد مهم ينسم بقيمة محدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري ، وادراك خلفية ما يعيشه من صراعات وكذا افتقاد شروط الوعي النظري للممارسة الروائية ـ جاءت الكتابات باهتة لم تعبر بوضوح ووعي وجمالية عن جزائر الثمانينات وما فيها من صور وأزمات آنية من أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة

ـ حيث جاءت الكثير من النصوص للاحتفاء بالثورة وتمجيدها وتضخيمها الى حد اعتبارها أسطورة، وتنزيه الرجال الذين قاموا بها من كل الأخطاء عكست هذا التصور رواية' الانفجار' سنة 1984 ' هموم الزمن الفلاقي ' و ' خبرة الجبال ' ل(محمد مفلاح) سنة 1988 ورواية ' الألواح تحترق' ل(محمد زتيلي) سنة 1982 و رواية ' الضحية ' ل(رابح حيدوسي)ستة 1984 و رواية 'وتتلألأ الشمس 'ل محمد مرتاض)سنة 1989 ... وغيرها من النصوص التي أسهمت في تكريس ايديولوجية السلطة المهيمنة على عكس تجارب تناولت ثورة التحرير قبل الاستقلال و بعده من منظور نقدي مثل تجارب (الطاهر وطار) و (واسيني الاعرج) و (رشيد بو جدرة) و (جيلالي خلاص) و (الحبيب السا يح)... و غيرهم من كتاب الجيل الجديد .

الهدف العام للمحاضرة

ـ معرفة مسار الرواية الجزائرية منذ التأسيس و التأصيل

ـ مسار الرواية في السبعينات

ـ مسار الرواية في الثمانينات

المراجع :

ـ أ عمال روائية تتناول الاطار السياسي للروية الجزائرية: راويات الطاهر وطار، عبد الحميد بن هدوقة، مرزاق بقطاش ،واسيني الأعرج ، جيلالي خلاص

ـ ديوان العرب شادية بن يحي مجلة ثقافية ولها موقع الكتروني عدد ماي 2013

ـ قراءة نصوص تمثل لكل مرحلة

انشطة التقويم:

اسئلة حول الأفكار الرئيسية في المحاضرة

كتابة مقال يقدم مسيرة تطور الرواية الجزائرية